
GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER
تولين
وصديقها الدُّوري
RABIE
casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين

وصديقها الدُّوري

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل



casterman

يَحلُمُ أَبو الشَّوارِبِ دائِماً بِالأَعشاشِ والرِّيشِ وبعَصافِيرِ الدُّورِيِّ ... و يَتَحَيَّنُ الفُرَصَ لِيَتَسَلَّقَ الأَشجارَ كَبَهلَوانٍ بَحثاً عنها .

- ياللَّهِ ... إِنَّهُ عُشُّ دُورِيٍّ !

وقَفَزَ أبو الشَّوارِبِ ... لكنَّهُ أَخطَأَ الهَدَفَ ، وسَقَطَ العُشُّ ... وفي الحَدِيقَةِ راحَتْ تُسمَعُ زَقزَقَةُ عُصفُورٍ صَغِيرٍ ...

- ماذا هُنالِكَ ؟!

- إِنَّهُ أبو الشَّوارِبِ ... لقد أَوقَعَ العُشَّ .

صاحَتْ تُولِينُ مُتَوَعِّدَةً : أبو الشَّوارِبِ ... سوفَ تُعاقَبُ علَى فَعلتِكَ .





– لِنُسَمِّهِ رفرُوفاً .

قالَ طبُّوشٌ مُندَهِشاً : يالَهُ مِنْ كَنارِيٍّ !

– إنَّهُ دُورِيٌّ ، أيُّها الغَبِيُّ ... فَرْخُ دُورِيٍّ .

– لكنَّهُ قَبِيحٌ ، ويَكادُ يَكونُ بِلارِيشٍ ، ولايَقوَى حتَّى على الوُقُوفِ .

– سوفَ يُحَلِّقُ عالِياً عِندَما يَكبَرُ .

– إنَّهُ يَرتَجِفُ جُوعاً وبَرداً ، وعلَينا أن نَبدأَ العِنايةَ بِهِ .

وقَرَّرَتْ تُولينُ أن تَتوَلَّى أَمرَهُ ... فهل تَحتَفِظُ بهِ داخِلَ المَنزِلِ ؟ وكيف تُطعِمُهُ ؟ ...



قالَ الأَبُ : لا يُمكِنُ أن يُرَبّى الدُّورِيُّ كَما يُرَبّى الفأرُ الأَبيَضُ .

– وأينَ نَضَعُهُ ؟

– في قُبَّعةِ القَشِّ .

وراحَ فَرخُ الدُّورِيِّ اليَتيمُ يُصَوِّتُ منَ الجُوعِ فاتِحاً مِنقارَهُ الكَبيرَ باستِمرارٍ .

– هل أُقَدِّمُ لهُ الطَّعامَ في طَبَقٍ صَغيرٍ ؟

أخَذَ الأبُ يَشرَحُ لِتُولينَ : ياصَغيرتي ... إنَّ الطُّيورَ تَضَعُ الغِذاءَ في مَناقِيرِ فِراخِها .

– وكم مَرّةً تَفعَلُ ذلكَ في اليَومِ ؟



- فِراخُ الدُّورِيِّ دائِمةُ الجُوعِ .

- وماذا تَأْكُلُ هذهِ الفِراخُ ؟

فُتاتَ الخُبزِ أمِ الخُضارَ ؟

- لاهذا ولاذاكَ ... أَطعِميهِ مُخَّ البَيضِ المَسلُوقِ

أوشَيئاً منَ اللَّحمِ المَفرُومِ .

- وكيفَ أُطعِمُهُ ؟

- استَخدِمي لِذلِكَ عُودَ ثِقابٍ .

- وماذا يَشرَبُ ؟

- الماءَ طَبعاً ... بِضعُ قَطَراتٍ تَكفِي .

وتَساءَلَت تُولينُ : ومَن يَتَوَلَّى أَمْرَهُ عِندَما تَنقَضِي العُطلةُ ؟

- سنَتَدَبَّرُ ذلكَ ، سيَعتَنِي بِهِ كُلٌّ مِنَّا بِدَورِهِ .

سادَ السُّكونُ ، حتّى إنَّكَ لَتسمَعُ صَوتَ القَطَراتِ المُتَسَرِّبَةِ مِنَ الصُّنبُورِ .



لقد شَبِعَ فَرْخُ الدُّورِيِّ ، وراحَ يَغُطُّ بِنَومٍ عَميقٍ في قُبَّعَةِ القَشِّ ... فلْنَدَعْهُ يَنامُ بِسَلامٍ ...

نَبَحَ طبّوشٌ في وَجهِ أبو الشَّوارِبِ : لاتُوقِظْ عُصفُورِي .

- بل هو عُصفُورِي ... أنا مَن عَثَرَ علَيهِ أوَّلاً.

- اِمضِ مِن هُنا ... لاشَأْنَ لَكَ بِهِ .

- كَفَى ... كَفَى ... يَكادُ هذا الدُّورِيُّ التّافِهُ أن يُوقِعَ بينَنا .

مَرّت أَسابيعُ ، واشتَدّ عُودُ الدُّورِيِّ .

– يارفرُوفُ اللّطِيفُ ... مَتى تَقدِرُ على الطَّيَرانِ ؟

لقد غَدا رفرُوفٌ قادِراً على الانتِصابِ على ساقَيهِ ، ناهِيكَ عن بَعضِ القَفَزاتِ ، وبعضِ النَّقَراتِ بِمنقارِهِ .

راحَت أَجنِحَةُ الدُّورِيِّ الصَّغِيرِ تَنمُو ، وكَسَاهُ الرِّيشُ ، فغَدا يَلهُو بِمَرَحٍ ، ويعتَنِي بِمَظهَرِهِ .

قالَ طبُّوشٌ : يالهذا العُصفُورِ !

إِنَّهُ دائِبُ الحَرَكةِ ...





غادَرَتِ الأُسرةُ المَنزِلَ .

ووَجدَ رفرُوفٌ البابَ مَفتُوحاً ، فانطَلَقَ إلى الحَدِيقةِ ، وراحَ يَتَقافَزُ مُرَفرِفاً بِجَناحَيهِ .
فَوَصَلَ خُمَّ الدَّجاجِ لاهِثاً ، وأَخَذَ يُحَدِّثُ نفسَهُ : أَظُنُّني سأَطِيرُ قَرِيباً .
قالَت دَجاجةٌ : لا ... هذا غَيرُ مُمكِنٍ ... فلَستَ أَكثَرَ مِن فَرْخٍ مَغرُورٍ .
– وأنتِ لستِ أَكثرَ مِن عَجُوزٍ هَرِمةٍ ذاتِ عَينَينِ مُدَوَّرتَينِ ...
قالَ الدِّيكُ وهو يَرمُقُ دَجاجاتِهِ بِتَعالٍ : يااللَّوَقاحَةِ ! وأَينَ تُقِيمُ أَنتَ ؟
– في مَطبَخِ تُولِينَ .
– في المَطبَخِ !؟ ... هذا الدُّورِيُّ يُثيرُ الضَّحِكَ .

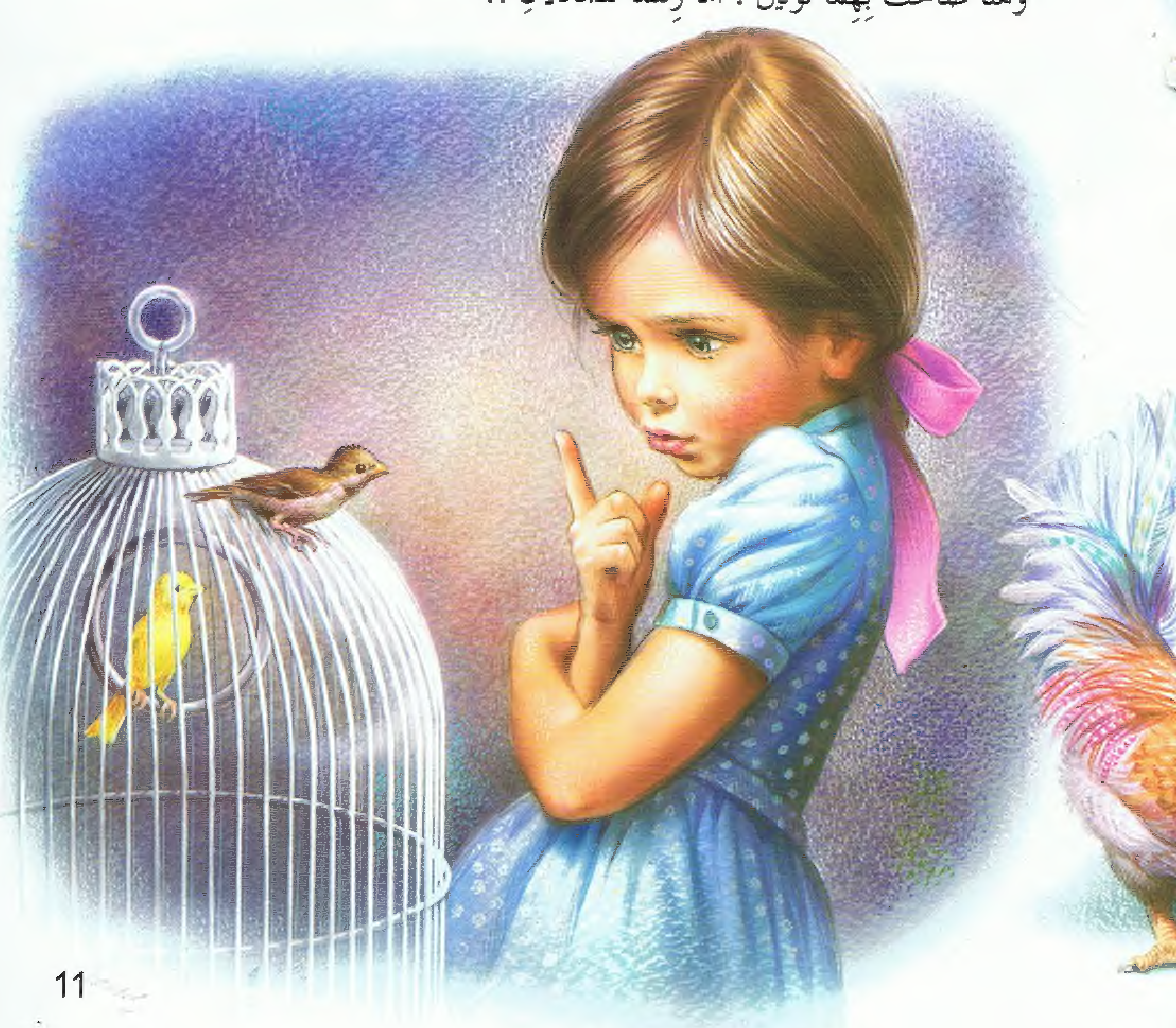
ومَعَ مُرُورِ الوَقتِ كانَ الدُّورِيُّ يَزدادُ دَهاءً ، وقد غاظَ الكَنارِيَّ ذاتَ يَومٍ ، فقالَ لهُ : بِماذا تُفكِّرُ أيُّها الكَنارِيُّ ؟ أَجابَ الكَنارِيُّ : لا شَأنَ لكَ بِي .

– ماذا أَكَلتَ ؟ فأنتَ أَصفَرُ تَماماً .

– وأنتَ رَمادِيٌّ بالكامِلِ ، ولاتُجِيدُ التَّغرِيدُ .

– التَّغرِيدَ ! وماجَدواهُ ؟ فقالَ الكَنارِيُّ : على كُلِّ حالٍ أنا لاأخافُ الهِرّ ...

وهُنا صاحَت بِهِما تُولِينُ : أما زِلتُما تَتَجادَلانِ !؟





ظَلَّ الفَرْخُ يَكبَرُ وينمُو ، ويَطُولُ جَناحاهُ يوماً إِثْرَ يَومٍ ... لقد تَغَيَّرَ حتّى لم يَعُدْ يُعرَفُ . وكانَ أَولادُ الجِيرانِ يَأتُونَ لِلتَّفرُّجِ علَيه .

– يَبدُو ذَكِيّاً ... عَيناهُ تَلمَعانِ .

– ألا تَخشَينَ فِرارَهُ ياتُولِينُ ؟

– عَمّا قَرِيبٍ يُصبِحُ قادِراً علَى الطَّيَرانِ ... وعِندَئذٍ لن تَستَطِيعي حَبسَهُ في غُرفَةِ الطَّعام .

قالَت تُولِينُ : لَقد فَرَّ يَوماً إلى خُمِّ الدَّجاجِ ، لكنَّهُ ما لَبِثَ أن عادَ مِن تِلقاءِ نَفسِهِ ، لأَنَّهُ يَعرِفُ الطَّرِيقَ .

– لكنَّ الأَمرَ يَختَلِفُ حينَ يُصبِحُ قادِراً علَى الطَّيَرانِ فِعلاً .



وسَأَلَتها رَفِيقَتُها : لو مَدَدْتُ يَدِي ، فهل يَحُطُّ علَى راحَتِي ؟
– ولِمَ لا ؟ إنَّهُ أَلِيفٌ جِدّاً .
وسَكَنَ الأَولادُ في أَماكِنِهِم يَحبِسونَ أَنفاسَهُم بانتِظارِ أن يَحُطَّ على يَدِ صَدِيقَتِهِم ، لكنَّ رفرُوفاً اِختَفَى فَجأَةً ...

راحَ يَطِيرُ تَحتَ المَقاعِدِ ، وفي البَهْوِ .
تُراهُ في المَطبَخِ ؟! تُراهُ في الحَمّامِ ؟! ...
لا ...
فها هُوَ ذا يَقبَعُ تَحتَ الطّاوِلَةِ في غُرفَةِ الطّعامِ .



خَيَّمَ الظَّلامُ ، وحانَ وَقتُ النَّومِ . وتَساءَلَت تُولينُ : أينَ اختَفَى رفرُوفٌ ؟

وقالَ أَخُوها : إنَّهُ لَيسَ في البَيتِ .

وبَحَثَ الشَّقِيقانِ عن رفرُوفٍ في الحَدِيقةِ ، فلم يَترُكا رُكناً إلّا وفَتَّشاهُ . وهُما يُنادِيانِ :

رفرُوفُ ... أينَ أنتَ يارفرُوفُ ؟

– أَيَكُونُ الهِرُّ قد ...

لا ... فلا دَخْلَ لأبُو الشَّوارِبِ بِالأمرِ .



يَقُولُ الأَبُ : إنَّ الدُّورِيَّ طائِرٌ لَطِيفٌ ، لكنَّهُ مُتَهوِّرٌ يَطِيرُ كيفَما يَحلُو لَهُ ، رُغمَ ضَعفِهِ وهَشاشتِهِ ... إنَّ رَفرُوفاً ساذَجٌ لايُحسِنُ تَدَبُّرَ أُمُورِهِ . فَكيفَ إذاً لِتُولِينَ أن تَنامَ وهو بَعِيدٌ عنها .

فكَّرَت تُولِينُ : إذا هَطَلَ المَطَرُ لَيلاً فسَوفَ يَبتَلُّ ... وقَد يَضِلُّ طَرِيقَهُ في الظَّلامِ ...
وراحَت تَنتَظِرُهُ بقَلَقٍ ...
لقد قالَ لها أبوالشَّوارِبِ : لَسوفَ يَعودُ .
ولٰكِنْ أنَّى لها أن تَثِقَ بِهِرٍّ ؟ وقد ظَلَّ طَوِيلاً يَطوفُ بِمُحاذاةِ الجِدارِ ، وعَيناهُ تُومِضانِ كَمِصباحَينِ .



فِي صَبِيحةِ اليَومِ التَّالِي ، وفِيما كانَت تُولينُ فِي المَطبَخِ ، سَمِعَت صَوتاً مِنَ الخِزانةِ :

تِكْ تِكْ تِكْ ... تِكْ تِكْ تِكْ ...

فَتَحت تُولينُ الخِزانةَ على مِصراعَيها ...

هل يُمكِنُكُم أن تَحزِرُوا مَنِ الَّذي يَنقُرُ على أَحَدِ الأَوعِيةِ في الخِزانةِ ؟

إِنَّهُ رفرُوفٌ .

– هذا أَنتَ يا رفرُوفُ ! ... لقد فَتَّشْنا عنكَ في كُلِّ مَكانٍ ...

لِحُسنِ الحَظِّ ، عادَ العُصفُورُ إلى تُولينَ مِن جَدِيدٍ . لقد حَبَسَهُ أخُوها جادٌ في خِزانةِ المَطبَخِ دُونَ أن يَنتَبِهَ . يالَها مِن غَفلةٍ ! ماذا لو كانَ قد حَبَسَهُ في الثَّلاجةِ !
لكنَّ رفرُوفاً ، يا أَصدِقائي ، لم يُصَبْ بأَذًى .

حانَتِ العَودةُ إلى المَدرَسةِ ، فامتَطَت تُولينُ درّاجتَها ، وانطَلَقَت في الطَّرِيقِ ، فإذا برفرُوفٍ يَتبَعُها مُصَفِّقاً بِجَناحَيهِ : اُنظُرِي إليَّ ... أنا أَطِيرُ ... أنا أَطِيرُ ...
وقالَت تُولينُ وهي تُلَوِّحُ بيَدِها : هَيَّا دَعنِي ... وعُدْ إلى البَيتِ .



وفي الصَّفِّ ، جَلَسَت كُلُّ تِلمِيذةٍ في مَقعَدِها . وكان الجَوُّ جَميلاً ، فتَرَكَتِ المُعَلِّمةُ النَّافِذةَ مَفتُوحةً ... وبَدَأَ الدَّرسُ :

- كيفَ نَحسُبُ مِساحةَ المُستَطِيلِ ؟

- لِحِسابِ مِساحةِ المُستَطِيلِ نَضرِبُ الطُّولَ بالعَرْضِ .

وفَجأةً .. اِنطَلَقَت وَشوَشةٌ ، وأخَذَت إحدَى التِّلمِيذاتِ تَضحَكُ .

وسأَلَتِ المُعَلِّمةُ : ماذا هُنالِكَ ؟

- عُصفُورٌ في الصَّفِّ ياآنِسةُ .

- صَوْ ... صَوْ ... صَوْ ... كانَ ذلكَ رفرُوفاً يُزَقزِقُ بأَعلَى صَوتِهِ .

- عُصفُورٌ في الصَّفِّ !!! مِن أينَ أتَى ؟





– إنّهُ عُصفُورُ تُولينَ .

وقالَت تُولينُ : لقد تَبِعَني إلى هُنا ، ودَخَلَ منَ النّافِذةِ ، ولم أَستَطِعْ مَنْعَهُ مِنَ الدُّخولِ .

وقامَتِ المُعَلِّمةُ بإخراجِ العُصفُورِ ، وأَعادَت إغلاقَ النّافِذةِ .

وقالَت : لَيسَتِ المَدرَسةُ لِلعَصافِيرِ ... لقد كَبِرَ عُصفُورُكِ ياتُولينُ ، ويَنبَغي لِدُورِيٍّ مِثلِهِ أن يَعيشَ في الطَّبيعَةِ .

فالطَّبيعةُ هي المَكانُ المُلائمُ لِلطُّيورِ .



هُنالِكَ حِصّةُ رَسمٍ يَومَ الخَميسِ مِن كُلِّ أُسبُوعٍ .

قالَتِ المُعَلِّمةُ لِتِلميذاتِها : اُرسُمْنَ عُصفُوراً .

... عُصفُورٌ ؟ ... إنّهُ أمْرٌ سَهلٌ إذا كُنتَ قدِ اعتَدتَ رُؤيةَ العَصافِيرِ ... وهاهيَ ذِي تُولينُ تُنهِي الرّسْمَ بِسُرعةٍ ، وتَستَسلِمُ إلى التّفكِيرِ : لَعَلّ المُعَلّمةَ على حَقٍّ ... إنّ احتِفاظَها بِفَرخٍ سَقَطَ مِن عُشّهِ لِمَنْحِهِ الدّفْءَ والعِنايةَ والغِذاءَ عَمَلٌ جَيّدٌ جِدّاً ، لكنّ رفرُوفاً قد كَبِرَ الآنَ ، ولا يَكادُ يَهدَأُ ، ولايَستَقِرُّ في مَكانٍ ، ومنَ الطّبيعِيِّ أن يَتَعَوّدَ الاعتِمادَ على نَفسِهِ بشَكلٍ جَيّدٍ .

ومُنذُ ذلكَ اليومِ ، كَفَّ الدُّورِيُّ عن إغاظَةِ الكَنارِيِّ ، ولم يَعُدْ يَختَبِئُ تَحتَ الطَّاوِلةِ في غُرفةِ الطَّعامِ .

وبَدَأَ يأكُلُ الحَبَّ ، ويَطِيرُ في الحَدِيقةِ ، أو يُرَى وهو يَستَحِمُّ أو يَدرُجُ علَى التُّرابِ ، أو يَحُطُّ على الطَّاوِلةِ يَنقُدُ الفُتاتَ ، أو يَشرَبُ منَ النَّبعِ ، أو يُعابِثُ أبو الشَّوارِبِ الَّذي لا يَكُفُّ عنِ التَّرَبُّصِ بهِ .

وكانَت تُولينُ شَدِيدةَ الفَخرِ بعُصفُورِها ، فقد شَهِدَت نُمُوَّهُ لَحظةً بلَحظةٍ ، حتَّى غَدا دُورِيّاً يَعتَمِدُ على نَفسِهِ .



www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10127-X ISSN 0750-0580



① CM1-27
ISBN 2-203-10127-X
6 214001 440275